◆ أهمية الدراسات المستقبلية في القرن الواحد والعشرين

د. سليم قلالة(*)

Les études prospectives au XXIè siècle

Dr Salim KELALA

Cet article est un essai sur les études prospectives et leur importance dans le monde contemporain. Il commence par introduire les problèmes terminologiques, historiques et philosophiques que pose le concept de prospective ou de futurologie, avant de retracer les développements contemporains de la prospective et ses principaux domaines d'application: affaires militaires, politique étrangère, politique intérieure et recherche scientifique. L'étude rappelle les techniques des études prospectives et les types de scénarios qu'elles considèrent.

بدأت الدراسات المستقبلية تأخذ شكلها العلمي والمؤسسي مع نهاية القرن العشرين، واليوم نحن نعيش بداية القرن الواحد والعشرين تزداد أهميتها بالنسبة لمجتمعاتنا ودولنا ويصبح الاهتمام بنتائج الدراسات الاستشرافية أمرا لا مفر منه بالنسبة لكافة الدول والشعوب ألم يقول ألان غراس «الإستشراف لا يمارس السياسة ينبغي احترام حكمه» «La prospective ne fait pas de politique, respectez la».

1 - الدراسات المستقبلية: إشكالية لمصطلح

أكثر المصطلحات تداولا في الدراسات المستقبلية هي: علم المستقبل «futurologie» «futurology» والإستشراف «prospective».

المصطلح الأول ينسب حاليا للمدرسة الأمريكية، طرحه «أوسيب فلختاهيم» (Ossipk Felechtheim) وهو أستاذ العلوم السياسية ذي الأصل الروسي والحامل للجنسية الألمانية وذلك خلال محاضرة ألقاها بالولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1943(1) وقال

عنه «أنه نظام علمي جديد منبثق عن وحدة تكاملية بين الزمن والحقائق المكتشفة وهذا النظام يتعامل مع نفس الأشياء بطريقة جديدة»(2).

أما «الإستشراف» فهو مصطلح للمدرسة الفرنسية ابتكره الرائد الفرنسي لهذا العلم «غاستون برجيه» (Gaston Berger) في بداية الخمسينات ومعناه لغويا: علم الريادة وأحيانا يطلق عليه اسم علم التوقعات(3). وفي إحدى مقالاته عرّفه الدكتور سعد الدين ابراهيم بأنه «الفحص أو التدقيق في الظاهرة بانتظام» أما في معناه العام فهو «اجتهاد علمي منظم يرمي إلى صوغ مجموعة من التنبؤات المشروطة والتي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع ما أو مجموعة من المجتمعات عبر فترة زمنية مقبلة تمتد إلى ما بعد 20 عاما(4) وعرّفه «ألان غراس (Alain Gras) بأنه «تأمل للحاضر ووضع بدائل من خلاله للمستقبل من شأنها أن تعطينا صورة عن مجتمع الغد»(5).

وهناك مصطلحات أخرى أصبح تداولها واسعا في نهاية القرن العشرين أشهرها على الإطلاق «Futuribles» للفرنسي «براتراند دي جوفينيل» (B.De Jouvenel) المشكل من مركب كلمتي «Futures» التي تعني «مستقبلات» والجزء الأخير من كلمة «possibles» التي تعني «ممكنة» أي «المستقبلات الممكنة» باعتبار أن مستقبل الإنسان ومجتمعه مفتوح النهاية على كافة البدائل وعلى الجهد الإنساني أن يتوجه إلى اختيار أفضلها.

أما المعنى الذي أعطاه إياها صاحبها فيتمثل في كون المستقبلات الممكنة هي فئة من العناصر لها خاصيتان:

- **الأولى:** عددها لا محدود ولا يقلل الزمن منه بالتقدم.

- **الثاني:** مرتبطة بالزمن وتتشكل بتشكله (أي هناك مستقبلات تظهر وأخرى تختفي) وهي «ليست نهاية من الإحتمالات الممكنة إنما هي تلك التي لا تبعدها مسبقا الحقائق الهيكلية للتنمية... والمرتبطة بآجال (قصيرة، متوسطة، بعيدة) والقائمة على قوانين طبيعية (مواد، تكنولوجية... إلخ) وعلى بناءات ثقافية (قوانين أخلاق مبادئ...)»(6).

بالإضافة إلى هذه المصطلحات الأساسية هناك أخرى قريبة من علم الدراسات المستقبلية مثل «الميلينتولوجيا» الذي ابتكره عالم الاجتماع الفرنسي س. كولم جيلفان في 1907 مشتقا إياه من الإصطلاح اليوناني الذي يطلق على أحداث المستقبل. وقد حظي بقبول متواضع منذ نشأته إلى غاية بداية الستينات حينما حلت محله المصطلحات المعاصرة وخاصة «الإستشراف» في فرنسا. إلا أن «جيلفان» ظل يعتبر نفسه أول من أعطى اسما لهذا العلم واستمر يؤكد أن «ميلونتولوجيا» هي أنسب اسم له.

ومن أمثلة المصطلحات القريبة من الدراسات المستقبلية والتي تعد أحيانا من أدواتها التقنية:

- **التنبؤ** (Prediction) (Prévision): الذي هو محاولة التوصل إلى تصور لخصائص ظاهرة ما تتسم بقدر من الشمول عبر فترة زمنية لاحقة اعتمادا على معطيات الواقع الحاضر الذي يصف خصائص الظاهرة. وهو أنواع عديدة كـ: الحدسي، الإستكشافي، الإستقرائي... الخ(7).

- **التخطيط طويل المدى** (Long term planing): والذي هو عملية إرادية لإنجاز أهداف محددة على أساس معلومات من الحاضر والمستقبل. أي لا يبحث مثل الإستشراف في أهداف غير محددة أو بدائل متعددة ولا يسعى لإستنتاج معلومات عن المستقبل بطرق علمية.

وفي الأخير ينبغي أن نؤكد أن الإستشراف أو علم المستقبليات لا علاقة له بالدراسات المثالية أو ما يطلق عليها بالطوباويات: Les utopies التي لا تقوم على التحليل وليست لها جذور في الحاضر، وهي ساكنة، أساسها الخيال وتقفز فوق الحاضر في حين المستقبلية هي تحليل شامل للنظام الإجتماعي في فترة زمنية متحركة تقوم على ديناميكية التفكير وتسعى لتطوير وتعديل الحاضر إلى درجة أن قيل عنها أنها ستكون خلاصة كافة العلوم القديمة والمعاصرة.

2 - الرغبة في معرفة المستقبل قديما قدم الإنسانية:

الاهتمام بمحاولة فهم المستقبل ليس ابن العقود القليلة الماضية، فقد حاول الإنسان ومنذ أقدم العصور محاولة معرفة ما يخبئه له الغد واستخدم وسائل متعددة لتحقيق ذلك. ولم تخلو حضارة من الحضارات من ظاهرة الكهانة أو التنجيم أو العرافة كصور بدائية لمحاولة معرفة بعض ما يخبؤه لنا الغد.

وقد قدم J.P. Vernant لهذه الظاهرة تفسيران:

أ - **التفسير الوظيفي**: حيث اعتبر أن جهاز التكهن بالغيب «l'appariel divinatoire» هي مؤسسة لمنح الشرعية في الحالة التي تكون فيها نتائج الخيارات وخيمة العواقب بالنسبة للسياسي في الغالب أو لمن يريد معرفة أمر ذي شأن، كتوقع نتائج الحروب مسبقا، أو حدوث كوارث طبيعية أو أوبئة أو ما شبه.

ب - **التفسير النفسي**: حيث اعتبر استنادا على تحليل Georges Devereux -الذي هو في ذات الوقت عالم نفسي وإتنولوجي- أن الإنسان يبحث في المستقبل لأنه يعتقد أن

العالم الذي يجري فيه العمل البشري «l'action humaine» تسيره قوى اعتباطية لا يمكن للفرد أن يتعرف على الإتجاه الذي ستأخذه، الأمر الذي يؤدي إلى القلق الذي يؤدي بدوره إلى خداع الذات بمعارف وهمية وقبول التفسير الغيبي كمعرفة حقيقية وكدليل واضح على نظام الكون.

وفي الحالتين يستنتج Vernant أنه يتم إعطاء الشرعية لـ«التفسير الغيبي» كوسيلة للمعرفة، خاصة عندما يعجز الإنسان عن بلوغها مثلما كان سقراط ينصح أصدقاءه بالقول:

«عليكم بالقيام بالأعمال التي تستطيعون القيام بها -وذات النتائج الأكيدة- بأنفسكم، أما تلك التي لا تعد نتائجها مؤكدة فينبغي الإستعانة بشأنها بالعرافين»(8).

وعموما فإن كافة الحضارات القديمة قد عرفت أشكالا بدائية لمحاولة التعرف على المستقبل يمكن أن نتابع بعضا منها.

3 - بدايات التفكير المستقبلي قبل الميلاد:

كان التطلع إلى المستقبل في العهد اليوناني حسب «Gourevitch» يتم من خلال مفهوم «Phusis» (أن كل شيء وجد لينحط) «All things are born to decay» (Phusis vient de phuein qui signifie croître)، أي أن النظرة إلى الزمن وإلى المستقبل كانت عند اليونان لا تصل إلى نهاية «المنحنى» (الولادة -النضج -الانحطاط - الموت) إنما تتمثل في الإقتناع بعودة الدورة ثانية إلى مراحلها المختلفة وهكذا... بمعنى أن نموذج عودة الحياة وبعث الناس من جديد كان حالة شادة في التفكير اليوناني(9).

- من هنا جاء التمييز بين فكرتي الإنحطاط والتقدم كما جاء التركيز على مرحلة من المراحل حسب ما تعرفه من تفاؤل أو تشاؤم خلافا للتفكير الديني اللاحق.

ومن نماذج هذا التفكير المستقبلي قبل الميلاد ما ورد عن الشاعر هيزيود Hésiode في القرن الثامن ق.م. حيث كتب في «Les travaux et les jours» «الأشغال والأيام» يصف حالة الإنسانية آنذاك بأنها نتاج دورة كاملة من الانحطاط انطلاقا من عصر ذهبي وجدت فيه الدولة النقية التي تتميز بالشباب والعدل والصداقة المتبادلة والسعادة. وتعاقب على هذه الدولة 4 أجناس «الذهبي، الفضي، البرونزي والأبطال «الجنس الحديدي» أما الجنس القادم فسيعرف جميع الشرور وسيسود الظلم بدل العدل والجهل بدل العلم»(10).

يقول: «ورغبت السماء أن لا أستطيع بدوري أن أعيش في وسط الجيل الخامس وأن أكون من بين الموتى على أن أولد فيما بعد».

وحمل القرن 5 ق.م. ... هو الآخر أفكارا تعتبر المستقبل تفتحا على التقدم أكثر منه على الانحطاط، وكان المنطلق أن الذكاء البشري من الأهمية بحيث يستطيع تطوير هذا القطاع أو ذاك ومن ثم تطوير المستقبل.

– وأصبح مسوغا أن نقرأ في كتابات الطب القديم أنه يمكن تحقيق اكتشافات جديدة وهامة إذا ما انطلق أحد الأكفاء مما تركه الأولون: «يمكن تحقيق اكتشافا جديدا أو اتمام ما شرع فيه ذلك هو طموح الذكاء وتلك هي مهمته «Traité de l'ancienne médecine».

– وسجل عن هيرودوت أنه كان مقتنعا بأن ازدهار الإنسانية لا يمكن أن يبقى في نفس النقطة.

– وعن بيريكلاس قوله: «كل شيء في هذا العالم مآله الزوال».

وبالرغم من أنه كان ذو نظرة دورية للزمن فإنه عندما تحدث عن «بوليب» والتغيير في الأنظمة السياسية باعتباره مؤرخ الحروب البونية «روما ضد قرطاجة» لم يتعبرها إعادة لصور حروب حدثت في الماضي أو هي ذاتها ستعود في المستقبل.

– لذلك قال Monigliano: «لقد فكر الفلاسفة الإغريق بالطريقة الدورية وليس أبدا المؤرخون».

– أما أفلاطون: فكان المستقبل عنده يظهر في شكل صور مثالية منفصلة تماما عن الحاضر أو في تفاعل تام ضده مثلما برز في «الجمهورية». وأحيانا كان يقع التفكير فيه تحت رحمة قانون التغيير الدوري حيث يحدث ذلك معلنا بداية انطلاقة دورة جديدة دون أن تكون فيها نهاية للتاريخ.

– وبعده أرسطو: كانت لديه نظرة كارثية لمستقبل العالم وليس لديه حنين لأي زمن ذهبي في الماضي القديم. كل تقدم بالنسبة إليه كان يتطلب تقريب نموذج ما سابق الوجود(11).

– وبعد عصر الفلاسفة جاءت المدارس الفكرية مثل الأبيقورية التي كانت ترى أن الصدفة –وليس المصير– هي التي تحكم مصير العالم. وأن هناك ما لا نهاية من المستقبلات الممكنة لا يمكن البت فيها.

– ورأت الرواقية: أن معرفة المستقبل ممكنة انطلاقا من الاعتقاد بأن القوة الإلاهية تمكن الإنسان من التأثير في مستقبله.

– ومن بين صور المستقبل عند سينيكا:

– أن سكان العالم سيقضي عليهم دوريا بكوارث «النار والماء سيسودان الأرض ومنها يأتي الخير والشر هكذا عندما يتقرر تجديد العالم ينزل البحر على رؤوسنا في الوقت الذي تلتهب فيه النيران... يكفي يوم واحد لتغرق كل الإنسانية».

ثم يصف بالتفصيل كيف ستتفكك الأرض ويزول الشر...

بعدها: سيعود تنظيم العالم من جديد ويخلق الأحياء، ثم تعود الدورة...

4 - التفكير المستقبلي الروماني-المسيحي

أما الرومان فقد عرفوا محاولات للتفكير المستقبلي إضافة إلى تلك الأساليب القائمة على العرافة والتنجيم. فـ«شيشرون» (Ciceron) على سبيل المثال ميّز بين التكهن المدفوع «La divination inductive» الذي يمتلك بالفن، والتكهن الحدسي «La divination intuitive» الذي هو يعد أثرا طبيعيا(12).

واعتبر الأول يرتكز على معيارين:

– المؤشرات أو العلامات الظاهرة من العالم الحالي أو الغيبي.

– الإشارات التي تقدمها الطبيعة (أمطار، زلازل، نجوم، كسوف، خسوف... إلخ) أو إشارات إيحائية أخرى: (كلمات مختارة بالصدفة في نص، سماع أصوات فجائية... الخ).

أما الثاني (الحدسي) فيرتكز على:

– القدرات الذهنية لدى الأفراد (شاع أكثر عند النساء).

– تفسير الظواهر الطبيعية بالحدس (الأحلام... الخ).

ومن جهتها عرفت الديانة المسيحية هي الأخرى محاولات للإهتمام بالمستقبل فقد سجل عن «سانت أوغسطين» أنه عاش في فترة ساد فيها مذهب الألف سنة القائل أنه قبل ظهور المسيح مرت على الإنسانية ألف سنة منذ ولادة إبراهيم الخليل «عليه السلام» (42 جيل x 30 سنة) ومن ثم فإن يوم البعث ستكون بعد مرور نفس المدة من ولادة المسيح أي في سنة 1260م. وقد ناقش «سانت أوغستين» هذا الإعتقاد معتبرا «أنه من العبث أن نحدد عدد السنوات التي سبق فيها خروج المسيح قبل يوم البعث 400 أو 500 سنة إنها مجرد تخمينات بشر لا تستند إلى أي نص كنسي»، ومن ثم اعتبر أن سنة 1260م المتوقعة ليوم البعث غير صحيحة وهي ضرب من الأوهام(13).

5 - التفكير المستقبلي العربي الإسلامي:

لقد عُرف عن العرب قبل مجيء الإسلام اهتمام كبير بالعرافة والتنجيم، واعتبرت الفراسة من أبرز ما برعوا فيه باعتبارها تنطلق من دلالات الحاضر لمعرفة التطور المستقبلي لظاهرة من الظواهر. وكان ضبط الكثير من الأمور عندهم تتم على أساس «تنبؤات» المنجمين، إلا أنه بمجئ الإسلام تحول الإيمان بالغيب إلى شرط من شروط العقيدة، باعتبار أن اللّه سبحانه وتعالى هو وحده الذي يعلم الغيب وليس على الإنسان إلا الأخذ بالأسباب، وهي مسألة مركزية في فلسفة الحضارة الإسلامية أي العلاقة بين الإيمان المطلق بالغيب والأخذ بالأسباب باعتبار أن اللّه تعالى «لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» الآية.

وضمن هذه الروح كتب مؤرخون وفلاسفة وأدباء في مسائل لها علاقة بصور المستقبل كما جاء عند «الفارابي» في المدينة الفاضلة وبرع شعراء وأدباء في تصوير مشاهد مستقبلية ألطفها ما أضافوه من قصص في رائعة «ألف ليلة وليلة» أو «كليلة ودمنة».

6 - البدايات الحديثة للتفكير المستقبلي:

بدأت المرحلة الحديثة في التفكير المستقبلي مع بداية الثورة الصناعية وظهرت في شكل ما عرف بأدب الخيال العلمي حيث كتب «دنيس جبور» اختراع المستقبل» و«آرثر كلارك» صورة جانبية للمستقبل.

إلا أن الإهتمام الفعلي بهذا العلم، وتحوله إلى مؤسسات لم يتم إلا مع بداية الحرب الباردة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي آنذاك خاصة في مجال الأمن النووي، إلى حد أن اعتبرت الدراسات المستقبلية نتاجا لمدرسة الأمن النووي وأن «هرمان كاهان» يعد نموذجا للآباء الروحيين لهذه الدراسات باعتبار اهتمامه بمسائل الأمن النووي(14)...

لذلك نجد أن المؤسسات التي أعطت دفعا للدراسات المستقبلية في الولايات المتحدة الأمريكية هي تلك التي لها علاقة بالمركب الصناعي العسكري مثل «راند» «Rand corporation» و«هونويل» «Honeyweel» و«إي تي تي» «ITT» ومعهد «هودسون» «Hudson Institute» ولجنة عام 2000 التي أنشأتها أكاديمية الآداب والعلوم عام 1965 بمعونة مالية من مؤسسة «كارنجي»... الخ.

وفي المقابل اعتبر الروس آنذاك أن هذا الإهتمام بالإستشراف إنما هو محاولة من قبل الرأسمالية العالمية لإعطاء نظرية للتاريخ يمكنها أن تحل محل النظرية الشيوعية

العلمية في الكتلة الشرقية باعتبار أن الدراسات المستقبلية تريد أن تكون بديلا للسوسيولوجيا بشكل عام وأن تصبح بمثابة فلسفة التاريخ بالنسبة للمجتمعات الصناعية المتقدمة.

إلا أن هذا لم يمنع الروس من إنشاء مؤسسات للدراسات المستقبلية شبيهة بتلك الموجودة في الغرب حيث أنشأت أكاديمية العلوم السوفياتية شعبة الإستطلاع الإجتماعي، واقترح «إيغور باستوجاف لادا» (Igor Bestoujev-Lada) تسمية هذا العلم باسم «علم التوقعات» أي العلم الذي يهتم في ذات الوقت بالوسائل والمناهج التنبؤية ويركز على عناصر لا تعتبرها أي من العلوم هدفا أساسيا لها(15).

أما في فرنسا فقد أنشأ «غاستون بيرجيه» في 1951 مركزا دوليا للاستشراف نشر في بداياته الأولى ما عرف بـ«كراسات الإستشراف» (Les cahiers de la prospective)، وفي سنة 1961 كتب «لويس أرمون» و«ميشيل درنكور» (Louis Armand et Michel Drancourt): «دفاعا عن المستقبل»، أما في سنة 1972 فقد كتب «أ.س. دي كوفيلي» (A.C. Decoufilé): «مدخل للاستشراف» وتضمن نظرة فلسفية مخالفة لتلك التي أتى بها «غاستون برجيه». كما وصل ريمون آرون (Raymond Aron) إلى تحليل عدة أبعاد مستقبلية من خلال دراسته المتميزة للإقتصاد السياسي...

وتعد السويد من بين البلدان الأكثر اهتماما بهذه الدراسات حيث أسست لذلك كتابة للدولة للدراسات المستقبلية (Swedish secretariat for future studies) كان من مهامها بحث البدائل المستقبلية للمجتمع السويدي وإجراء دراسات حول تعميق الحالة الديمقراطية به، ومعرفة مصير السويد في النظام العالمي...

وعموما فإن كافة البلدان الصناعية المتقدمة لها مراكز للدراسات المستقبلية سواء أخذت شكل مخابر البحوث أو المؤسسات الخاصة أو الجمعيات المتخصصة مثل جمعية اليابان المستقبلية وجمعية مستقبل العالم الأمريكية.

أما في البلدان النامية فالإهتمام ضئيل بهذه الدراسات وأحيانا لا توجد أدنى قناعة بأهميتها في التنمية وتقوية مكانة الدولة داخليا أو خارجيا.

فعلى سبيل المثال يعد اهتمام البلدان العربية بمستقبلها ليس من بين أولوياتها وإن كان بعض الكتاب قد أولوا في النصف الثاني من القرن العشرين بعض الإهتمام للموضوع كقسطنطين زريق في مؤلفه «نحن والمستقبل» واسماعيل صبري عبد الله في مؤلفه «صور المستقبل العربي» وعلي نصار في «المستقبلات البديلة» ومهدي المنجرة في «مستقبل الماضي وماضي المستقبل». وقد انفرد الدكتور سليم وليد عبد الحي بالكتابة

الأكاديمية في تقنيات الدراسات المستقبلية بعد نشر مؤلفه: «الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية» في نهاية الثمانينيات بالجزائر، ثم مؤلفه عن مكانة الصين المستقبلية في نهاية التسعينيات.

وفي الجزائر بالتحديد ارتبط الإهتمام بالدراسات المستقبلية بالمعهد الوطني للدراسات الإستراتيجية الشاملة، ولم يظهر كميدان بحثي مستقل لحد الآن وإن كان معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية يقدم لطلبته تكويناً في الدراسات المستقبلية في مستوى الماجستير(16). وتعد مجلة «إنتقالية وإستشفاف» لمعهد الدراسات الإستراتيجية ذات ميل نحو تقديم رؤى مستقبلية عادة ما تكون على شكل محاضرات وأبحاث يقدمها مختصون للمعهد. وكانت هناك محاولات لتأسيس هيئة تهتم بالمستقبل على مستوى رئاسة الجمهورية سُميت «بالجزائر 2005» إلا أنه لم يكتب لها الإستمرار لأسباب لها علاقة بالوضع الداخلي للجزائر في بداية التسعينات من القرن الماضي.

7 - أهمية الدراسات المستقبلية اليوم:

لم يعد يخلو بلد متقدم اليوم من مؤسسات أو مراكز للدراسات المستقبلية، وأصبحت كبرى الشركات العالمية لا تهتم فقط بمتابعة مستقبل إنتاجها الصناعي أو التكنولوجي أو إنتاج منافسيها إنما بمستقبل كافة المؤشرات العالمية وفي جميع مناحي الحياة بما في ذلك السياسية منها. وابتكرت لدراسة ذلك عدة تقنيات وطورت تلك التي كانت معروفة في السابق من أجل محاولة معرفة آفاق المستقبل.

وعموما فإننا يمكن حصر المحاور التي أصبحت تهتم بها الدراسات المستقبلية اليوم في التالي:

- التحول التكنولوجي
- الحالة الجيوسياسية
- المحيط الطبيعي والبيئة
- السلوك الديمغرافي
- تطور القيم
- العمل والبطالة
- الدولة ... إلخ.

أما تطبيقات الدراسة المستقبلية فتشمل في الإجمال 4 مجالات:

- الشؤون العسكرية:

وتتناول حاليا مسألة الحروب الإفتراضية التي تمكنها من توجيه صناعة الأسلحة ونشاط الإستعمالات المختلفة والإختيارات التقنية وتغير النظر إلى المواقع الإستراتيجية ومفاهيم الأمن الوطني والأمن العالمي.

- السياسة الخارجية للدول:

وتتناول حاليا بالتحليل مستقبل الأوضاع في الدول التي تهم صناع القرار عند رسم سياساتهم الخارجية يتم خلالها فحص العوامل والمتغيرات والإتجاهات ذات التأثير في مستقبل الدول ويتم تطبيق تقنيات متعددة لمعرفة مدى استقرار الدول في مختلف أزمنة المستقبل.

- السياسة الداخلية للدول:

وتهتم بمعرفة المشاهد المستقبلية التي يمكن أن تكون عليها دولة في مختلف القطاعات خاصة السياسية التي يمكنها التأثير في طبيعة الخيارات الأخرى. وتقوم بهذا النوع من الدراسات إما الدول ذاتها للإحتياط للمستقبل أو أطراف أخرى يهمها مستقبل الأوضاع الداخلية لهذه الدولة أو تلك.

- الدراسات العلمية:

وتمس جميع العلوم الاجتماعية والدقيقة والتقنية. ففي جانب العلوم الاجتماعية أصبح التغير الاجتماعي لا يدرس بعد حدوثه إنما قبل حدوثه، ولم تعد الحتمية مسألة مسلم بها باعتبار أن للمجتمع أكثر من مستقبل وأن المستقبل يصنع ولا يفرض، وأن النموذج الغربي ليس بالضرورة هو أفضل نموذج لكافة الشعوب.

كما أنه تمت إعادة النظر في الدراسات التجزيئية الميدانية والدراسات النفسية مثل الفرويدية والبنائية وفي مفهوم الأمن ودراسة التاريخ بحيث أصبحت دراسة التاريخ تتم في ضوء المستقبل والحاضر وخاصة المستقبل.

أما في الجانب التكنولوجي فإن المعلومات المستقبلية تعد هي المعلومات السرية الوحيدة في العلم، فكافة الدول والشركات إنما تقوم بنشاطات واسعة وتستخدم كافة الوسائل من أجل معرفة المشاريع المستقبلية لهذه المؤسسة أو تلك خاصة في مجال صناعة البرامج الحاسوبية، وتطوير أنظمة الإعلام الآلي، والمكونات الالكترونية الدقيقة ذات القدرة الهائلة التي تحتاجها كافة الآلات المتطورة تكنولوجيا أي ما يُعرف بأسرار التكنولوجيات المتقدمة.

8 - تقنيات الدراسة المستقبلية:

تستخدم الدراسات المستقبلية عدة تقنيات مستوحاة من تجارب سابقة تم تطويرها في مراكز البحث أو مقتبسة من أنماط للتفكير والتحليل من العلوم الدقيقة وخاصة الرياضيات.

ومن أشهر التقنيات الدراسات المستقبلية وأقدمها نذكر:

- تقنية دلفي
- السيناريو
- مصفوفة التأثير المتبادل
- دولاب المستقبلات
- الإستشفاف
- نظرية الإحتمالات
- تقنية التفتيت... إلخ.

وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن تقنية دلفي ظهرت في أواخر الخميسنات وابتدعها كل من أولاف هلمر ونورمان (Olaf Helmer et Norman Dalky) خلال عملهما في مؤسسة راند كوربورايشن. وتتطلب هذه التقنية عددا كبيرا من الخبراء يقومون بتفتيت الظاهرة موضوع الدراسة ثم بطرح كل معطى من معطياتها على الخبير المعني ومقابلة رأيه بآراء الآخرين في مرحلة ثالثة ثم إعادة طرح الآراء على مجموعات الباحثين ليكيف كل موقفه وهكذا إلى أن يتم رسم الصورة المستقبلية الأكثر قبولا من قبل مجموع الخبراء.

أما السيناريوهات فهي أدوات لتصور المستقبلات الممكنة بطرق عقلانية وهي مناقضة للتفكير العمومي والرومانسي وتحكمها عادة 5 قواعد هي:

1 - احترام قواعد اللعب
2 - التكيف مع الأهداف
3 - المعقولية
4 - العقلانية
5 - الإنسجام

وقد قسم الباحثون السيناريوهات إلى 3 أنواع:

- السيناريوهات الكلاسيكية ذات التطور المنطقي Les scénarios classiques par progressions logiques.

- السيناريوهات الإتجاهية عن طريق التكرار Les scénarios tendanciels par intéractions.

- والسيناريوهات التضاد 258 .Les scénarios par contrastes

أما الإستشفاف فيُعرف في مجال الدراسات المستقبلية بأنه تلك العبارة التي تصاغ على النحو التالي: «إذا حدث أ فإن ب سيحدث في الوقت ص» وتتم متابعتها بأشكال متعددة أهمها:

- الإستشفاف المشروط
- الإستشفاف التام
- الإستشفاف المطلق
- الإستشفاف الإحتمالي
- الإستشفاف العكسي
- الإستشفاف البرهاني
- الإستشفاف الإنكاري ... الخ.

وعموما فإن لكل تقنية خصائصها وفوائدها، ويمكن اعتماد التكامل بين التقنيات لتصور مستقبل ظاهرة ما خاصة في العلوم الإنسانية.

الخلاصة

مما سبق يتبين لنا أن للدراسات المستقبلية أهمية قصوى بالنسبة لنا باعتبارها تمكننا من معرفة البدائل التي يمكن أن تكون عليها أوضاعنا خلال عقدين أو أكثر من الزمن، والأهم من ذلك تمكننا من معرفة حال الآخرين في المستقبل التي بدورها تسمح لنا بتوقع المشكلات التي يمكن أن تنتظرنا في الفترة التي يتحول فيها وضع العالم وأوضاعنا الداخلية بهذا الشكل أو بذاك.

وبإمكان التصورات المستقبلية أن تضع لنا بدائل كثيرة للغد الذي نرتقبه ومن ثم يمكننا من التحكم بطرق أفضل بصور ومشاهد المستقبل القادمة. وهذا من شأنه أن يجنبنا آفة حل المشكلات بعد وقوعها وليس قبل وقوعها كما أصبحت الأمم والشعوب المتقدمة تفعل، مما زاد في ميكانيزم التكيف لديها ومكنها من الإستمرار في حالة من التطور العالية لأقصى مدة ممكنة.

ولعل اهتمام الدراسات المستقبلية بمستقبل جميع مناحي الحياة يزيد من أهميتها بالنسبة لنا فإذا كنا لا نستطيع مواكبة التطورات التكنولوجية الحاصلة في العالم أو

التأثير فيها يمكننا أن نواكب التحولات الحاصلة في مستوى القيم والتأثير فيها. وهذا من شأنه أن يجنب بلداننا الوقوع في الكثير من التناقضات الحادة على مستوى القيم التي يمكن أن تعصف بنا.

إن التأخر المسجل لدينا في جانب الدراسات المستقبلية يعد سببا رئيسيا في ضعف اختياراتنا البديلة في كافة المجالات سواء أكانت اجتماعية سياسية أو تكنولوجية معرفية أو أمنية واستراتيجية. إننا نكاد نجزم بأنه في ظل غياب الرؤية المستقبلية العلمية وفي ظل غياب مؤسسات بحثية تقوم بذلك فإنه لا يمكن لأية دولة أن تدعى امكانية الإستمرار في العقود القادمة بحكم الزيادة العالية في التسارع في العالم على جميع الأصعدة: الاجتماعية والإستراتيجية الأمنية والتكنولوجية المتقدمة.

ليس هذا فقط لقد أصبح من مسلمات الدراسات المستقبلية اليوم أن الرؤية المستقبلية لا تسمح فقط بإيجاد البدائل الممكنة للتكيف مع المستقبل إنما تمكن من حل مشكلات الحاضر!! فمشكلات الحاضر لا تحل فقط بالنظر إلى الماضي إنما أيضا بالنظر إلى المستقبل وذلك هو البعد الغائب في رؤيتنا إلى اليوم والذي ينبغي أن يصحح مع بداية هذا القرن الجديد: القرن الواحد والعشرين.

الهوامش:

(*) – أستاذ الفكر السياسي والدراسات المستقبلية، كلية العلوم السياسية، جامعة الجزائر.
email: salimkelala @ hotmail.com

(1) – I.F. Clarke, And that as the future... Futures, august 1989, p. 378.

(2) – ادوارد كورنيش، The futurist ص 44 فبراير 1977.

(3) – د. محمود زايد، علم المستقبل في وقتنا الحاضر، الفكر العربي، عدد 10، مارس أفريل 1979، معهد الإنماء العربي، بيرت 1979.

(4) – د. سعد الدين ابراهيم، صور المستقبل العربي، ص 17 وما بعدها مركز دراسات الوحدة العربية، ص 1982.

(5) – Alain Gras, La futurologie, p. 5, Clefs pour Seghers, Paris, 1976.

(6) – Ibid, p. 6.

(7) – انظر الموسوعة العربية للعلوم السياسية، ص 80.

(8) – Devereux Georges (1968), "Considération psycanalytiques sur la divination particulièrement chez les grecs", in A. Caquot et M. Leibovici (sous la dire. de) la Divilation, PUF, tome 2, p. 463.

Guorevitch A.X. (1975), "Le temps comme problème d'histoire culturelle", In Les – (9)
Cultures et le Temps, Unesco/Payot.

Vernant J.-P., Mythe et pensée chez les grecs, ed. Maspério, p. 49. – (10)

Dodds E.R. (1975), The ancient concept of Progressand other essay in Greek – (11)
literature and blief, Oxford, Clarendon Press, p. 14.

Ciceron, De la divination, traduction Desmarais, Paris, Barbou. – (12)

Bernard Cazes, Histoires de futures, les figures de l'avenir de Saint Augustin au 21è – (13)
siècle, p. 27, éd. Seghers, Paris, 1986.

Klauss Koch, Kritik de futurologie, Kurbuch, no 14 août 1968, Suhrkamph Verlag – (14)
Franckfort, in: Alain Gras, La futurologie, op. cité, p. 9.

La prévision, une des méthodes d'exploration de l'avenir, in UNESCO, Futurologie, – (15)
no spécial, vol XXI, no 4, 1969.

(16) – كان يُشرف على هذا التكوين الأستاذ الدكتور وليد عبد الحي والآن هو تحت إشراف المؤلف.